بكاء فوق نعش حبيقة. (وسام موسى)

زوجة عجرم وابنته عند نعشه. (محمود الطويل)

الحقيقة لئلا ننسى

هكذا بقي ايلي حبيقة، في افضل الحالات، مشتبها به حتى يومه الاخير.

واغتياله جريمة مزدوجة هي سطو وقتل، او سطو عن طريق القتل. انها سطو على الحقيقة التي كان اللبنانيون كالفلسطينيين يتوقون معرفتها. وعملية السطو هذه تشكل اعتداء على السلم الهش الذي نعيشه، وهو اعتداء ينال من هذا السلم، حاضرا ومستقبلا.

ان اغتيال الحقيقة التي كان يخفيها ايلي حبيقة لأسباب مجهولة (اذا اخذنا في الاعتبار تأكيده المتكرر لبراءته) وان كان هدفه الآني مرتبطا بقضية محاكمة أرييل شارون، يتجاوز بخطورته هذه القضية، ليطاول مسألة السلم بين اللبنانيين.

ان اغتيال حبيقة، احد أبرز وزراء السلم من بين ابطال الحرب، حرم اللبنانيين مرتين معرفة حقيقة بعض ما جرى، والذي من المحتمل انه كان له فيه مسؤوليات مباشرة. مرة اولى بسبب علاقة هذا الامر بمجازر صبرا وشاتيلا التي هي من افظع الجرائم ضد الانسانية التي ارتكبت في لبنان، والتي ما كانت لتحصل لولا انقسامنا على بعضنا البعض، ومرة اخرى بسبب مسؤولية حبيقة عن اعمال عنف بين اللبنانيين، وهي مسؤولية نتغاضى عن ذكرها وخصوصا ان "بطولته" المشتبه بها هناك تطغى في أذهاننا على مسؤوليته المفترضة هنا.

وأهمية معرفة الحقيقة، والاعتراف بها، يدركها رئيس الوزراء الاسرائيلي، والاسرائيليون بحكم تاريخهم، كما يدركها المجتمع الدولي من اقصى شمال العالم الى اقصى جنوبه. وقد بات الجميع يعلمون اهمية معرفة الحقيقة والاعتراف بها، لتجاوز، الآلام التي تخلفها الحروب. ومعظم هؤلاء يدركون ايضا أهمية التصالح مع الماضي لتحقيق المصالحة الوطنية، بل يؤكدون ان تحقيق المصالحات لا يتم عن طريق اتفاقات السلام.

وما شهدناه لدى حصول حادثة الاغتيال هو خلاصة لبشاعة الحرب. وبعض ما سمعناه من ردود فعل ينعش حالة البغض والانقسام التي يعيشها اللبنانيون، ويؤكد مرة اخرى ان الماضي لا يزال يحتل الحاضر. وهذا الاحتلال يجعل من اي قضية يختلف عليها اللبنانيون، تهديدا للوحدة الوطنية، في حين ان هذه الوحدة ليست مسألة تتطلب بالضرورة التوافق على كل شيء، بل تتطلب قرارا بتفعيل الحوار حول كل شيء. وقرار الحوار هذا يقتضي اولا قراءة صفحة الحرب قبل طيها. ألم يحن الوقت لمواجهة الماضي، وتفعيل الذاكرة لكي ننسى؟

للأسف رحل ايلي حبيقة أحد أبطال الحرب اللبنانية دون ان يستعيد التواصل الانساني مع اللبنانيين والفلسطينيين، هذا التواصل الذي كان قد انقطع بسبب الجريمة ضد الانسانية التي اتهم بتنفيذها.

هل نأمل ان تستنهض هذه الحادثة القيمين على استمرارية الدولة للعمل من اجل التواصل بين اللبنانيين؟

أمل مكارم